من إصدارات مركز ثوابتنا للاستشارات التربوية والتعليمية ٣٥

# العلماء

## هم الدعاة




لفضيلة الشيخ

أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل

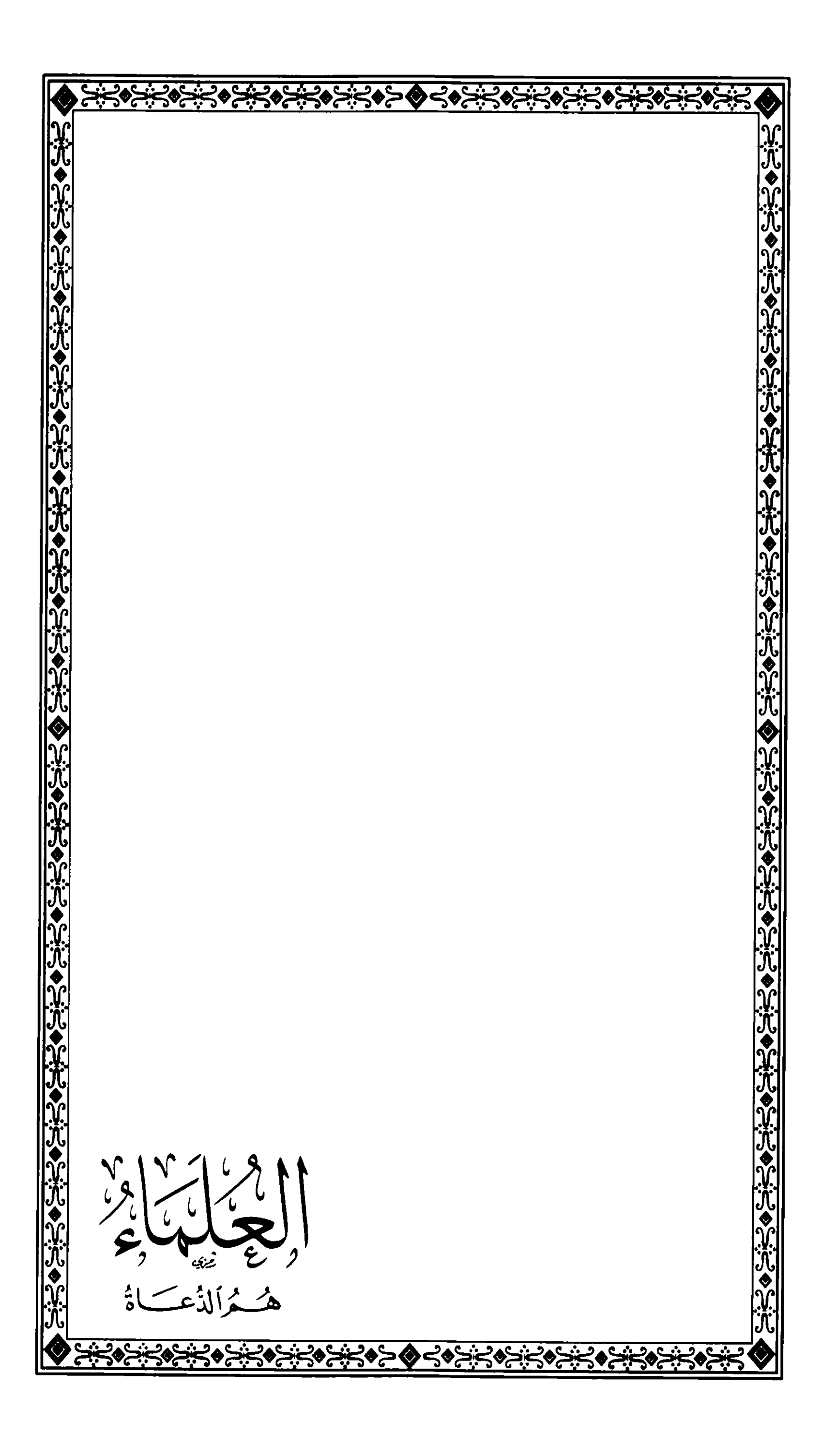
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





دار ابن الجوزي



# العلماء

هم الدعاة



ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العقل، ناصر عبد الكريم
العلماء هم الدعاء./ ناصر عبدالكريم العقل، الدمام، ١٤٣٦هـ.
٤٨ ص؛ ١٥×٢١ سم
ردمك: ٦-٤٧-٨٠٦٠-٦٠٣-٩٧٨
١. الدعوة الإسلامية ٢. الدعاة -
٣. العلماء المسلمون أ-العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣٦/٨٧٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٧٦٨
ردمك: ٦-٤٧-٨٠٦٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

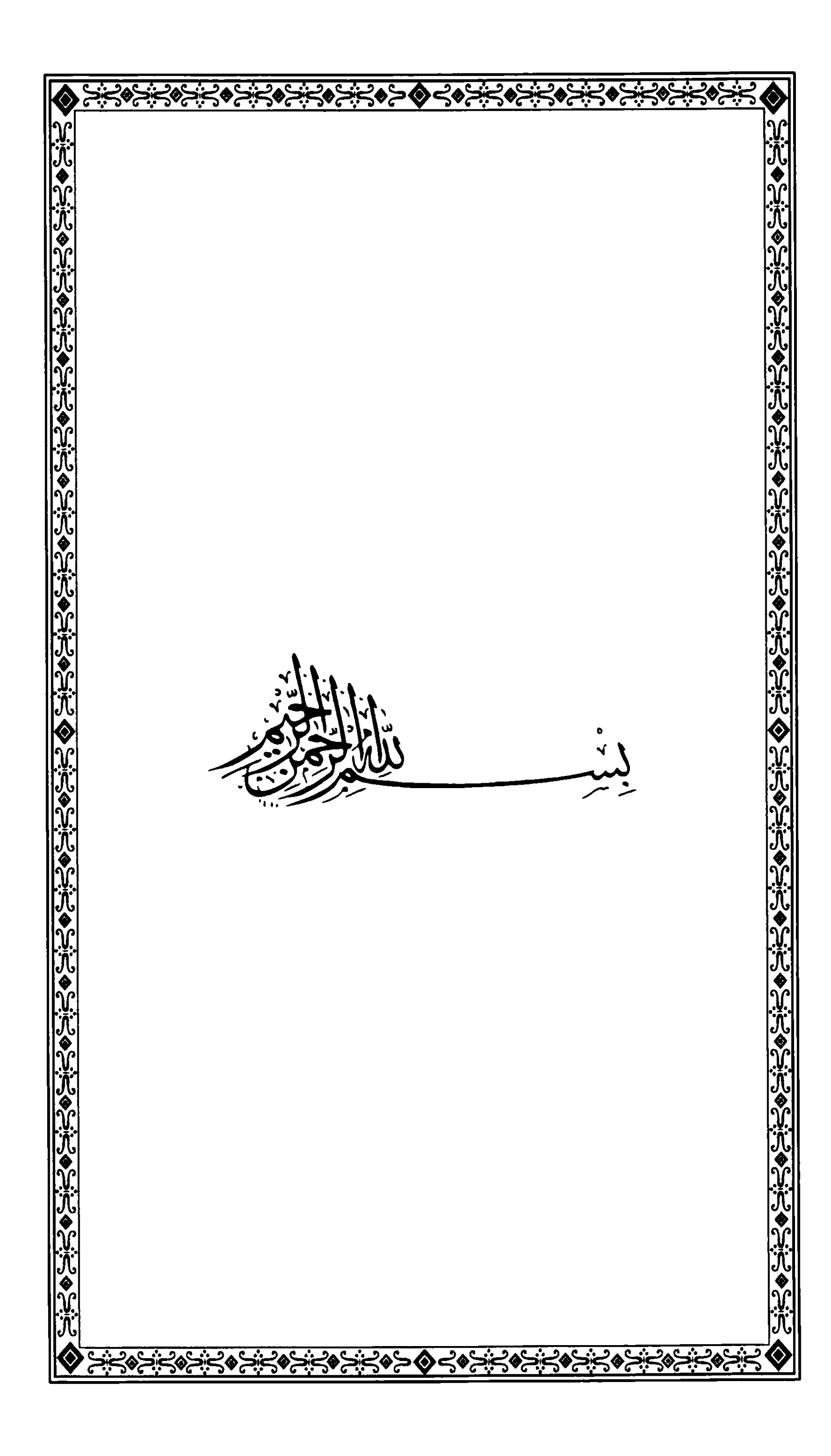
الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٧هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.




دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت
هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم
التاريخ
المشفوعات
الموضوع :

الحمد لله، وبعد: فقد زف إلينا الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل بشرى قيام مركز الوسطية للاستشارات التربوية والتعليمية الذي نرجو أن يكون مركزاً علمياً تربوياً يشارك في نشر الدعوة والخير على منهج الكتاب والسنة فيرجى من كافة المسلمين دعم هذا المركز بما يحقق أهدافه ليواصل عطاءه المثمر - إن شاء الله.

عملاً بقول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) فالمسلمون بحاجة إلى قيام مثل هذا المركز خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالب فيه أعداء الإسلام على الإثم والعدوان والصد عن سبيل الله (ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) والله لا يخلف وعده وأخيراً فإننا ننتظر من هذا المركز تحقيق ما أسس من أجله ونسأل الله أن يوفق القائمين عليه لما فيه الخير والصلاح للإسلام والمسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
١١/٦/١٤٢٩هـ

---

(*) تم تحويله إلى مركز ثوابتنا.

# تمهيد

۞ إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد: فإن الحديث عن الدُّعاة وعن العلماء، أصبح في ظروفنا المعاصرة أمرًا ضروريًّا، خاصة حينما انتشر مفهوم خاطئ عند الناس، في هذا العصر، وهو: التفريق بين العالم والدَّاعي، وبين العلم والدعوة، وبين الفقه في الدين والفقه في الدعوة، وما نتج عن هذا المفهوم من ظواهر خطيرة في الدِّين، وفي السلوك، وفي الأفكار، وفي المفاهيم، وفي التعامل والمواقف، والولاء والبراء.

ومنشأ الموضوع في ذهني: هو أن كثيرًا من الدّعاة، والشباب والحركات الإسلامية المعاصرة التي تتصدر الدعوة في العالم الإسلامي، قد نشأ عندها هذا الانفصام، وهذا التفريق المُبتدع بين الداعي إلى الله سبحانه وتعالى وبين العالم، أو بين المتصدي للدعوة إلى الله أو المحترف للدعوة وبين العالم والشيخ، أو بين العلماء وطلاب العلم، وبين الدُّعاة وأتباع

الحركات الدَّعوَّية.

۞ نظرًا لما لهذا الانفصام والخلل من عواقب وخيمة قد تؤدي إلى الافتراق المذموم، فلابد من الحديث عن هذا الأمر على وجه النُّصح لا على وجه التشهير، وسأتحدث في هذا الموضوع عن بعض المسائل، لأن الموضوع متشعِّب وطويل، ذو شجون، وأشكر للشيخ سيد عبد المقصود ما بذله في خدمة هذه الرسالة من تخريجات وتعليقات قيمة فجزاه الله خيرًا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

**المسألة الأولى:**

في التعريفات المتعلقة بعنوان هذه المحاضرة(١)، والتي هي: «العلماءُ هم الدُّعاة».

**أ- مفهوم العلماء وسماتهم:**

فالعلماء المقصود بهم: العالمون بشرع الله، والمتفقهون في الدين، والعاملون بعلمهم على هدىً وبصيرة، على سنَّة رسول الله ﷺ، وسلف الأمة، الداعون إلى الله بالحكمة التي وهبهم الله إياها: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] والحكمة: العلم والفقه.

(١) ألقيت هذه المحاضرة بمسجد القدس، بحي الروابي بالرياض في جمادى الثانية ١٤١٢هـ.

فعلى هذا العلماء بهذا التعريف: هم الدعاة بدَاهة، والعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء هم الدعاة، فأجدر من يتصدر الدعوة بعد الأنبياء – وقد انقضت النبوة وانتهت – : هم العلماء وذلك:

أولًا: لأنهم ورثتهم، والأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارًا، إنما ورثوا هذا العلم، والدعوة إنما تكون بالعلم، فأهل العلم هم الدعاة.

ثانيًا: العلماء هم حُجة الله في أرضه على الخلق، والحُجّة لا تقوم إلا على لسان داعية بفقهه وبعلمه وبقدوته، فعلى هذا، فالعلماء هم أجدر الناس بالدعوة.

ثالثًا: العلماء هم أهل الحل والعقد في الأمة، وهم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم، كما قال غير واحد من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]. قال مجاهد: هم أولو العلم والفقه[١]، وهو قول ابن عباس[٢] وجابر[٣] ومجاهد

(١) رواه ابن أبي حاتم (٥٥٧١) وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٥٧٥) ابن جرير وابن المنذر والحاكم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (٥٥٧٣) والحاكم وصححه كما في الدر المنثور (٢/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه أبو خيثمة في (العلم)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلى سعيد بن

والحسن[(١)] وأبي العالية[(٢)] وعطاء[(٣)].

وإذا كانوا هم أولوا الأمر فولايتهم للدعوة من باب أولى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية، والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعًا، فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فإن العلماء ولاته حفظًا وبيانا وذبًا عنه وردًّا على من ألْحد فيه وزاغ عنه، وقد وكلهم الله بذلك فقال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ فيا لها من وكالة أوجبت طاعتهم

منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، بلفظ: «هم الفقهاء والعلماء»، وله لفظ آخر: «أصحاب محمد، أهل العلم والفقه والدين» عزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر واشتهر هذا التفسير من غير واحد من السلف. قال ابن عباس: «أهل العلم» أخرجه ابن عدي في «كامله». وقال جابر بن عبد الله: «أولي الفقه وأهل الخير» أخرجه الحاكم وصححه. وقال أبو العالية: «هم أهل العلم» أخرجه ابن شيبة وابن جرير، وزاد ابن كثير: عن عطاء والحسن البصري. رواه ابن أبي حاتم (٥٥٧٢) ومجاهد في تفسيره (١/ ١٦٢) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٦٦) وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٥٧٥) نسبه لسعيد بين منصور وعبد بن حميد وابن جرير ورواه أيضًا ابن أبي خيثمة في العلم رقم (٦٢).

(١) رواه ابن أبي حاتم (٥٥٧٣) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٦٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة وابن جرير كما في الدر (٢/ ٥٧٥).

(٣) رواه الدارمي (٢٢٥) وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٥٧٣) لعيد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

والانتهاء إلى أمرهم وكون الناس تبعا لهم»[١].

رابعًا: العلماء هم المؤتمنون على مصالح الأمة العظمى؛ على دينها، وعلى دنياها وأمنها ومن باب أولى أن يكونوا هم المؤتمنون على الدعوة وشؤونها.

خامسًا: العلماء هم أهل الشورى الذين ترجع إليهم الأمّة في جميع شؤونها ومصالحها، وإذا كانوا يستشارون في جميع مصالح الأمّة - في دينها ودنياها - فمن باب أولى أن يكونوا هم أهل الشورى في الدعوة وقيادتها.

سادسًا: العلماء هم أئمة الدين، والإمامة في الدين فضل عظيم، وشرف ومنزلة رفيعة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤] والإمامة في الدِّين تقتضي بالضرورة الإمامة في الدعوة، وما الدين إلا بالدعوة، وما الدعوة إلا بالدين.

سابعًا: العلماء هم أهل الذِّكر، والذِّكر بالعلم والدعوة، كما قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧]. فعلى هذا هم أهل الدعوة إلى الله تعالى.

ثامنًا: العلماء أفضل الناس كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وأفضل الناس

---

(١) الرسالة التبوكية ص ٤١.

هو الدّاعي إلى الله بعلم.

تاسعًا: العلماء هم أزكى الناس، وأخشاهم لله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [ فاطر:٢٨]. وإذا كانوا هم كذلك، فهم الأجدر أن يكونوا هم الدعاة على هذه الصفات، وهم الأجدر أن يكونوا هم القادة والرُّوَّاد في الدعوة.

عاشرًا: العلماء هم الآمرون بالمعروف النّاهون عن المنكر بالعلم والحكمة، إذن فالعلماء هم الدّعاة.

الحادي عشر: العلماء هم شهداء الله الذين أشهدهم على توحيده، وقرن شهادتهم بشهادته سبحانه وبشهادة ملائكته؛ وفي هذا تزكيتهم وتعديلهم، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [ آل عمران:١٨] ومن كانوا كذلك فهم المؤتمنون على الدعوة، وهم الأولى بقيادتها وريادتها.

هذا على وجه العموم، فالعلماء هم أهل هذه الخصال، ولا يلزم أن تتوفر كل هذه الخصال في كل عالم، فالكمال لا يكون إلا لله – سبحانه – لكنهم في الجملة – أي العلماء – لا شك أنهم المتميزون بهذه الصفات الجديرون بها. أما من يوصفون اليوم بأنهم الدعاة فغالبيتهم لا تتوفر فيهم صفات العلماء الكبار الراسخين في العلم.

### بطلان دعوى خلو الأرض من العلماء القدوة:

والعلماء لا يمكن أن تخلو الأرض منهم، وهذا دفعًا لدعوى قد يدعيها بعض الجهلة ممن ينتسبون للدعوات والحركات المعاصرة وغيرهم وهي زعم بعضهم: أنه لا يوجد علماء قدوة، أو أن العلماء الذين يمكن الاقتداء بهم: مفقودون، أو أنهم يتهمون بمطاعن تسقط اعتبارهم، وهذا في الحقيقة من علامات أهل البدع، فقديمًا قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من علامات أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر» وفي عصرنا الحاضر يطلق أصحاب القلوب المريضة على العلماء بأنهم علماء الحيض والنفاس، وعلماء البلاء، وعلماء الكتب الصفراء أو علماء تقليديون!.... الخ.

حقًا لا يعرف مقدار العلماء إلا أهل العلم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهل يميز بين العلماء والجهال، ويعرف مقادير العلماء إلا من هو من جملتهم ومعدود في زمرتهم»[1].

وقال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها وبغضهم لائمة البدع، وقد زين الله قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله، وقال الطحاوي في العقيدة المشهورة[2]: «وعلماء

---

(١) هداية الحيارى ص ٢٤٣.

(٢) عقيدة السلف أهل الحديث ص١٦٧.

السلف من السابقين ومن بعدهم من اللاحقين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذْكَرُون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»[١].

أو نحو هذا من الدعاوى التي لا تجوز شرعًا بل هي مخالفة للواقع، ومخالفة لصريح النصوص، فإن الله – سبحانه وتعالى – تكفل بحفظ هذا الدين كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩]، وتكفل بحفظ طائفة من الأمة تبقى ظاهرة منصورة كما في الحديث الذي تواتر عن رسول الله ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك**»[٢]، أمرها بيِّن – وهذا لا يمكن أن يتأتى إلاّ بأهل الحجة والقدوة، وهم العلماء، والصفات التي ذكرتها، تتوفر في كل مكان، وكل وقت بحسبه – قوة وضعفًا – لكن لا يمكن أن يخلو كل الزمان وكل المكان من العلماء إلى قيام الساعة.

ويدل على هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝١١٦﴾

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٠) تحقيق الأرناؤوط في عقيدة السلف أهل الحديث ص ١٦٧.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

[هود:١١٦] وللشيخ رشيد رضا تفسير جليل حول هذه الآية فانظره في تفسير المنار[١].

**ب- مفهوم الدعاة:**

أما بالنسبة للدعاة: فقد عرفنا أن العلماء هم الدعاة، لكن تنزيلًا للمصطلحات والألفاظ، فإنا نقول:

**الدعاة حقًا هم: الداعون إلى الله على بصيرة:**

والبصيرة هي اتباع هدي رسول الله ﷺ وهو الفقه في الدين، وأوّل من تتوفر فيه هذه الصفات لا شك أنهم العلماء، لأن الرسول ﷺ أمر أن يقول بأن سبيله[٢]: الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا تأتي البصيرة إلا بالعلم والفقه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ولا شكّ أن أتباع الأنبياء بالأولى هم العلماء.

قال العلامة الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير السبيل قوله: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ أي أدعو الناس إلى معرفته سبحانه بصفات كماله ونعوت جلاله ومن جملتها التوحيد.

وللفخر الرازي هنا كلام جيد يحسن نقله حيث يقول:

(١) تفسير المنار (١٢/ ٢٤٤).

(٢) روح المعاني (٩/ ١٥٢).

«واعلم أن السبيل في أصل اللغة الطريق، وشبهوا المعتقدات بها، لما أن الإنسان يمر عليها إلى الجنة ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وحجة وبرهان ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ إلى سيرتي وطريقتي وسيرة اتباعي الدعوة إلى الله، لأن كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله. وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط، وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور»[١].

**ج- مفهوم الدعوة:**

الدعوة شرعًا: هي السعي لنشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقًا على منهاج النبوة، وبذل الوسع في ذلك، ويتحقق هدف الدعوة إلى الله بالعلم والعمل والقدوة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح والاستقامة والإخلاص والتجرد والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، وهذه الأركان أكثر ما تتوفر في العلماء.

**إشكالات مفترضة، وجوابها:**

وهنا لابد من الاستدراك، قبل أن أفصِّل في بعض النقاط المهمة في المسائل التي تلي، حيث قد يرد سؤال عند بعض

---

(١) مفاتيح الغيب ص(٢٥٦٩).

الناس:

**أولاً: هل يعني هذا أنه لا يدعو إلى الله إلا عالم؟**

بالطبع لا، بل على كل مسلم عرف شيئا من الدين[1]، وتبصّر به: أن يدعو إليه بعد التبصر، وفقْه المسألة التي يدعو إليها، وإنما أقصد أن الذي تتوجه إليه النصوص الشرعية، والذي عليه عمل السلف: أن قيادة الدعوة، وريادتها، وتوجيهها، لابد أن يكون من العلماء، وفي العلماء، أي: أن العلماء لابد أن يتصدروا الدعوات في كل أمر ذي بال، ولابد أن نجعلهم هم القادة، وهم المرجع، والموجهين في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – ولا يكونوا مجرد مستشارين عند الحاجة كما يفعل كثير من (أصحاب الدعوات).

فالعلماء لابد أن يكونوا هم المتصدرين للدعوة، وإن لم يكن الأمر كذلك، فإن في الأمر خللًا لابد من استدراكه، وخطأ لابد من تصحيحه، بل إن لم يكن الأمر كذلك فإن الدعوة ستنحرف لا قدّر الله وتعصف بها الأهواء.

---

(١) لحديث ... بلغوا عني ولو آية... الحديث رواه البخاري (٤/ ٢٠٧) والترمذي (٢٦٦٩) والدارمي (٥٤٢) وأحمد (٦٤٨٦) (٦٨٨٨) (٧٠٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

**ثانيًا: ربما يقال: إن العلماء لم يرفعوا راية للدعوة:**

فأقول: هذا الإشكال لا يصح، لأنه ناتج عن قصور في النظرة للعلماء فالمنصف يجد أن العلماء - في الجملة - قاموا بما يسعهم من واجب التبليغ ونشر العلم والنصح للأمة والولاة والعامة، كل منهم حسب ما يستطيع، وحسب ما يُرى من أساليب يتأدَّى بها الواجب، ويجب أن لا نتوقع منهم الإشادة بجهودهم أو الدعاية لأنفسهم، ذلك أن الأصل في أهل العلم: (أنهم يُسعى إليهم لأخذ العلم عنهم، ولا يَسْعون إلى الناس)، والأصل في العلم: أن يكون لهم سَمْت أساسه التواضع، وأن يكون لهم حق على الأمة، كما أن الأصل في العلماء: أن لا يرفعوا فوق رؤوسهم رايات، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرِّقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون»[1]، ولا يرفعون شعارات، ولا يطلبون الانتماءات إليهم، ونحو ذلك مما هو من لوازم بعض الدعوات المعاصرة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

فالعلماء يُقْصَدون، ويجب أن يلتف حولهم عامة الناس، وطلبة العلم بخاصة.

ورفع الرايات والشعارات للدعوات من قبل من لهم شأن في الأمة ليس من هدي السلف، فمن رفعه الله بالعلم والتقوى وجب على الأمة أن ترفع قدره، وأقصد بذلك أن إخضاع العلم للدعاية، أو للشعارات، أو الانتماءات، لم يكن من خصال السلف، بل هو من خصال أهل الأهواء والفرق، أما أهل السنة: فهديهم السنة والجماعة – وهي ليست شعارًا يرفع، إنما هي سبيل المؤمنين، وصراط الله المستقيم وسنة سيد المرسلين ﷺ.

**المسألة الثانية:**

بيان أن الأصل في الكتاب والسنة وما اتفق عليه جمهور السلف الأمة، وهو هديهم، أن العلماء هم الدعاة، وأن الدعاة – أصلًا – هم العلماء، وأن غيرهم تبع لهم، فكما أسلفت: كل طالب علم، وكل مسلم عليه أن يدعو إلى الله بقدر وسعه، وعلى بصيرة في الأمر الذي يدعو إليه وكل ذلك مشروط بالتبعية لأهل العلم، لأنهم هم قادة الأمة، وهم من أهل الحل والعقد فيها، وهم جماعتها.

**المسألة الثالثة:**

في الحديث عن هذه الظاهرة التي أشرت إليها، وهي: الفصل

بين العلماء (أي علماء الشرع: أهل الفقه في الدين) وبين الدعاة، أو بين العلم والدعوة (أي طلب العلم الشرعي والدعوة)، وهذا الفصل – مع الأسف – تركز في أذهان كثير من المسلمين في هذا العصر، لأسباب كثيرة سأذكر شيئًا منها فيما بعد.

بل إن هذا المفهوم الخاطئ لم يتركز في الأذهان فقط، بل صار له أثر في الواقع أي فيما تعيشه الدعوات، وما يعيشه كثير من الدعاة في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وكما أسلفت كان التفريق بين العلماء والدعاة من سمات أهل البدع ومناهجهم، حيث إنهم اتخذوا رؤوسًا جهالًا، والداعية عندهم – أعني أهل الأهواء والبدع – هو من يخضع لأهوائهم، ويلتزم بها، ويقول بمقولاتهم وينشرها وينتصر لها، ولو لم يفقه من الدين شيْئًا.

و لهذا لابد على المسلم المتبع أن يدرك سمات أهل البدع ليحذرها و ليصفو له اتِّباعه للنبي ﷺ ويكون إيمانه إيمانًا خالصًا لله تعالى.

لهذا قال العلامة أبو المظفر الاسفرائيني: «وما لم يتبين العاقل أوصاف البدع وأهلها لم يتقرر له حقيقة الإيمان المستخلص عن جميعها»[(١)].

فتقرر بهذا أنه يجب على المسلم المتبع أن يميز عقيدته

(١) «التبصير في الدين» ص١٦.

ومنهجه من عقيدة أهل البدع والأهواء ومناهجهم يقول أبو المظفر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجب على المرء المحصل أن يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة ودينه عن أديانهم الضالة»[1].

ونجد هذا جليًا في الفِرَق الأولى: كالخوارج، فإن دعاتهم ورؤوسهم ليسوا العلماء الأكابر لا فيهم ولا من غيرهم، بل بضاعتهم في الفقه والعلم قليلة وعلى غير طرق سليمة، وكذلك الرافضة دعاتهم جهالهم، بل أجهل الناس وأقلهم أحلامًا، وهكذا المعتزلة والقدرية وأهل الكلام وسائر الفرق على هذه السمة - غالبًا - على تفاوت بينهم.

فهؤلاء - أي أهل الافتراق - هم الذين يفصلون بين الدعوة وبين الفقه في الدين، لأنهم - أصلًا - يقل فيهم الفقه في الدين، وأكثر زعمائهم ودعاتهم إنما يمتازون بالولاء لفرقتهم، وبالولاء للمقولات التي هم عليها، ولا يفقهون من الدين إلا القليل، ومنهم من لا يفقه شيئًا.

وأغلب دعاة هذه الفرق والذين نشروها في الأقاليم الإسلامية قديمًا من العوام، ومن الجهلة، أو الذين لهم أهداف وأغراض شخصية أو شعوبية، أو عصبيات، ويسيطر عليهم الجهل المهلك.

---

(١) المرجع السابق ص١٦.

**المسألة الرابعة:**

أن هذه الخصلة – مع الأسف – سمة ظاهرة، بدأت تظهر في كثير من الدعوات المعاصرة، وكثير من الحركات الإسلامية، وهي في خارج هذه البلاد أكثر، لكن لا يسعنا إلا أن نتكلم عنها لأسباب:

**أولها**: أننا لابد أن نحمل هموم جميع المسلمين وننصح لهم في كل بقاع الأرض وهذا واجب شرعًا على كل داعية، فعلى كل عالم أن يحمل هم المسلمين ويناصحهم لا في إقليم واحد، بل في جميع بقاع الأرض، فالمسلمون الأصل فيهم أنهم أمة واحدة، ومقتضى النصح والإشفاق عليهم بيان ما فيهم من خير وتشجيعهم عليه، وبيان ما فيهم من أخطاء، والتنبيه عليها، ونصحهم بالعدول عنها.

ومن هذا المنطلق سأتوقف عند ذكر بعض ظواهر الخطأ في هذا الموضوع، في بعض الحركات الإسلامية خارج هذه البلاد.

وثانيها: أن هذه الظواهر – أي الفصل بين العلماء والدعاة – بدأت تظهر عند طوائف من الشباب عندنا، وبعض المفكرين، والمثقفين، فصارت مناهج، فمن هنا كان لابد من الكلام عن أوضاع الدعوات المعاصرة، بمجملها، في جميع العالم الإسلامي، وليس في بلد واحد، لأنها يستمد بعضها من بعض.

أعود إلى هذه الخصلة أو هذه السمة التي وقع فيها كثير من الدعاة والدعوات المعاصرة، وهي: (أن الدعاة عندهم غير العلماء والداعية غير العالم)، وهذا المفهوم بدأ ينمو في أذهان بعض الناس - مع الأسف - وقد تأصلت هذه المفاهيم حتى في أعمال الدعاة، وفي حركاتهم، وفي مواقفهم، وفي مناهجهم، فصاروا يفصلون بين العالم (الشيخ) وبين الداعية، وأدى ذلك الفصل إلى عواقب وخيمة.

فالداعية عندهم: هو من ينشط في الدعوة والحركة، لتحقيق مواقف أصحابها، أو لتحقيق أهدافها، أو يواليها ويرفع شعارها، ويجمع الناس حوله على هذا الشعار، هذا هو الداعية عند كثير من الدعوات المعاصرة، بصرف النظر عن علمه وفقهه، بل الغالب أنَّه يكون من قليلي الفقه، وقليلي العلم الشرعي، والمشايخ بمفهوم هؤلاء - القاصر - ليسوا دعاة، ولا يصلحون لأن يسهموا في الدعوة أو أن يدخلوا في إطارها، أو نطاقها، وبسبب هذا الفصل ظهرت أمور ومواقف منحرفة، سنشير إلى شيء منها.

**المسألة الخامسة: من نتائج الفصل بين العالم والداعية:**

بسبب فصل بعض الدعاة بين الشيخ (العالم) وبين الداعية، ظهرت أمور سلبية نراها جلية في كثير من الدعوات الإسلامية، من هذه الأمور:

أولًا: اتخاذهم رؤوساء جهالًا، - أغلبهم - لا يفقهون من الدين إلا ما يحلو لهم، وغاية ما يملك بعضهم من العلم، إنما هو مجرد عواطف وأفكار وثقافات أشتات، جمعها من كتب ليست مؤصلة تأصيلًا شرعيًا، بل كتب فكرية تجمع الغث والسمين، بعضها يضم أفكارًا حركية لا تتفق مع النصوص الشرعية، بل مجرد آراء وتجارب قد تكون شخصية، وهو الغالب عليها، مع الإعراض والبعد عن كتب السلف الصالح وآثارهم؟ رحم الله الإمام الأوزاعي حيث يقول: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول»[1].

والغريب أن يقضي كثير من الشباب حياتهم وأوقاتهم في قراءة هذه الكتب الفكرية المشار إليها، والحصيلة في النهاية، قلة الفقه في الدين والجهل بالشرع المطهر ومجانبة نهج السلف الصالح، زاد كثير منهم مجرد العواطف والحركة والإثارة، حتى كاد يكون مصطلح الداعية عندهم من ليس عالما، وأن العالم ليس داعية، وأحيانًا يقولون: فلان داعية أي ليس عالما وفلان شيخ من المشايخ أي ليس داعية! وهذا وقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ من اتخاذ (رؤوسا جهالًا)، يفتون بغير علم، فيَضلوا ويُضلُّوا فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله

---

(١) رواه الإمام الآجري في الشريعة (١/ ١٣٩).

**لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا: اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»**(١).

ثانيًا: قلة وجود العلماء والمشايخ، والمتفقهين في الدين، المتضلعين في العلوم الشرعية بينهم، في أكثر الدعوات المعاصرة مع أن وجود أهل العلم المتفقهين في الدين شرط من شروط الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- خاصة في الدعوات الكبرى، التي ينضوي تحت لوائها جماعات وفئَامٌ من الناس، فهذه لا ينبغي أن يفقد فيها العالم، أو أن يكون العالم فيها مغمورًا، أو لا يتصدر الدعوة.

ثالثًا: قصور النظرة في فهم قدر العلماء والمشايخ، وبمنزلتهم عند كثير من أتباع هذه الدعوات، مما أدى إلى إسقاط مرجعيتهم، أو إضْعافها.

فمن هنا وجد من بعضهم اتهام للعلماء بالقصور أو التقصير، أو قلة الوعي، أو أي نوع من أنواع التنقيص لتبرير عدم صلة الدعوة بالعلماء.

بل إن بعض الدعاة يرفع نفسه ودعوته على حساب الكلام في

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٣٤) (١٣/ ٢٩٥) ومسلم (٢٠٥٨) (٢٠٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أعراض العلماء، وهذا الأمر – وإن كان كشفه مؤلمًا – لكن لابد من ذكره، ولابد من السعي لعلاجه.

رابعًا: توريط بعض شباب الأمة بالانتماء للشعارات والتحزبات والقيادات الدعوية، وليس لأهل العلم والعلماء، بل أصبح الانتماء للشعار والجماعة الدعوية أكثر منه للسنة والجماعة وأهل العلم(١).

**خامسًا** : فصل الشباب عن مشايخهم وعن علمائهم، ومن ثم حجبهم عن النظرة الشرعية الشمولية للدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – وغاياتها ومناهجها، وحجبهم عن الاهتداء بهدي أئمة السنة السلف الصالح قديمًا وحديثًا، بل إن بعض الجماعات تربي شبابها على جوانب من مناهج السلف تخدم أهدافها، أو تخدم الجماعات وشعاراتها، وتغفل الجوانب الأخرى والسنة والعلم وسير أهل العلم، وهذه من أساليب أهل الأهواء وأهل البدع، يأخذون من الأئمة ما يحلو لهم من قول أو فعل، ويتركون الباقي. وهذا خلل في النظرة وخلل في المنهج، ولا يمكن أن تقوم الدعوة إلا على العلم والبصيرة، فالعلم الشرعي هو سلاح المسلم المتبع، إذ كيف يصلي ويصوم ويحج ويعتمر، أو كيف

---

(١) انظر: كتاب (حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية) للشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد فهو مفيد جدًا.

يبيع ويشتري وينكح، وكيف يعبد الله تعالى ويقف عند حدوده ويتبع أوامره، وكيف يدعو إلى الله على بصيرة ويتعامل مع الأحداث بدون أن يتسلح بالعلم الشرعي، وكيف يحمي نفسه من أمراض الشهوات والشبهات؟ إلا بأن يعبد الله على بصيرة وهدى.

سادسًا: نتج عن الفصل بين الدعاة والعلماء: كثرة الشعارات والأهواء والانتماءات، والافتراقات، والعصبيات، للجماعات، أو للأشخاص مع العلم بأن الأمة لا يجمعها على السنة والخير إلا علماؤها، ومهما بالغت الفرق، أو مهما بالغت الجماعات والدعاة في أي مكان وفي أي زمان للسعي إلى جميع المسلمين دون الاسترشاد بأهل العلم، ودون أن يجعلوا العلماء قادة وموجهين ومرشدين وأئمة للدعوات، فإن الشمل لن يجتمع.

نعم لن يجتمع شمل الأمة إلا بالالتفاف حول علمائها، مهما بلغت الدعوات من السعي إلى وسائل الجمع وأساليبه، وهذا الخلل سبب رئيس في كون الجماعات تتنافر ولا تتفاهم، وتفترق وتفرِّق أكثر مما تجتمع وتجمع.. وواقعها شاهد على ذلك.

سابعًا: نتج عن العزل بين العلماء وبعض الدعوات المعاصرة – أقول البعض حتى لا نظلم الذين هم على الاستقامة – أن نشأت لبعض الدعوات مناهج وأفكار وكتب ومؤلفات معزولة عن السنن، وعن العلوم الشرعية بشموليتها، بل وحتى

بتفصيلاتها، وصارت كل طائفة تأخذ من العلوم الشرعية ما يناسب أوضاعها بانتقائية مقيتة، وهذا منهج أهل الأهواء فهو من الأساليب التي تخالف منهج السلف، وحتى نشأ للدعوة في العالم الإسلامي علم يشبه علم الكلام لدى الجماعات في ارتباطه بالأهواء والأشخاص، لا بارتباطه بالسنة وبالأئمة.

وقد برزت في الآونة الأخيرة، نتيجة لهذا الفصل بين الدعاة والعلماء دعوات كبرى، قوامها وركائزها، رؤساء ليسوا بعلماء، وتعتمد على أفكار ومناهج محدثة، تخالف هدي الإسلام وعلى عواطف لا تنضبط بالقواعد الشرعية ولا المصالح المعتبرة.

ثامنًا: كما نتج عن هذا التقصير في طلب العلم الشرعي على أصوله وعلى العلماء وعلى مناهجه السليمة الصحيحة، عند أصحاب الدعوات التي تفصل بين العلماء والدعاة: الحيلولة بين أتباعها وبين تحصيل العلم من المشايخ، بل كثيرًا ما ترد إشكالات من بعض الشباب في شتى بلاد العالم الإسلامي، ناتجة من صرف بعض الدعاة لأتباعهم عن العلماء بذرائع شتى، حتى إن بعضهم قد يعاقب الشاب الذي ينتمي إليه لماذا جلس يطلب العلم الشرعي على الشيخ فلان !!

ونتيجة لذلك حصل الخلل، فقد فهم بعض الدعاة هداهم الله بسبب العزلة بينهم وبين المشايخ أن المشايخ خصوم أو أعداء للدعوة، أو أن لديهم ما يضر بالمنتسب للدعوة، أو ما يشوش أفكاره عليها، وسبب ذلك أن في دعواتهم أمراضًا ومصائب لا يرضاها العلماء، وقد ينتقدونها، ومن هنا تعللوا بصرف شبابهم عن العلماء وأهل العلم والفقه في الدين.

وفي الآونة الأخيرة لما رأى بعضهم عوار هذا النهج صاروا يوجهون شبابهم إلى المشايخ لأخذ العلم عنهم فقط، دون ما يتعلق بالمناهج والقضايا الدعوية والتربوية ونحوها، وهذا من مسالك أهل الأهواء، وهو مسلك خطير يجب ألا يستمر عليه من ينشد الحق والإصلاح، ولذلك وجب مناصحة أولئك الدعاة وبيان الحق لهم.

تاسعًا: في بعض الدعوات التي تسلك هذا المسلك ظهرت فئام من الجماعات، والدعاة، والشباب في البلاد الإسلامية وغيرها عددها ليس بالقليل، تجد قادتهم على قلة في الفقه، وضعف في العلم، أو تتلمذوا على الأقل علمًا واتخذوا شيوخهم من الأصاغر، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك حيث قال:

«**إن من أشراط الساعة: أن يُلتمس العلم عند الأصاغر**»[(١)]، وهذا - والله أعلم - يشمل الأصاغر في العلم والقدر والسن، وقد فسر الإمام ابن المبارك الأصاغر بأهل البدع، ولا مانع من تفسير الأصاغر بصغار السن، ويدل عليه ما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم، وعن علمائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا»[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ولم يقم الصغير على الكبير»[(٣)].

ولذلك ذهب الإمام ابن قتيبة ومن بعده الخطيب البغدادي إلى تفسير الأصاغر بصغار السن قال الخطيب البغدادي: «الصغار هنا يراد بهم: صغار الأسنان الذين لم يتأهلوا بالعلم ولم يتضلعوا به»[(٤)] فإن الأخذ عن هؤلاء هو مظنة قلة العلم والتجربة والخبرة، وعدم الفهم للمقاصد الشرعية، والمصالح، والمفاسد، ويعلل ابن قتيبة ذلك فيقول: «لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب، وحدّته، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة،

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٦١) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١٠٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٩٥).

(٢) رواه اللالكائي (١/ ٣٥).

(٣) رواه اللالكائي (١/ ٣٥).

(٤) نصيحة أهل الحديث للخطيب البغدادي (ص ٦).

والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطبع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، ومع السن الوقار، والجلال، والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أُمنت على الشيخ فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك»[١].

وكل ذلك حاصل في هؤلاء ومنهم طائفة يتخذون شيوخهم كتبهم، وما يرشحونه من كتب فكرية أو ثقافية، وأغلب ما تعتمد هذه الجماعات على الكتب الفكرية والثقافية أكثر من الكتب الشرعية، بل فيهم من يتنكر لكتب السلف الصالح[٢].

ومنهم من جعلوا قادتهم – مع الأسف – جهالهم، وأحكامهم أهواءهم، مما أدى إلى الخلط، وإلى الخبط والاضطراب عند بعض هؤلاء في العقائد، وفي الأحكام، وفي المواقف، وفي التعامل مع الآخرين، وفي النظرة إلى قضايا الأمة الكبرى، وفي التصرفات الطائشة التي تحدث من بعضهم، وفي صدور الأحكام المتعجلة، وهو علامة على الجهل، وإلا فالمتأني في دينه الحريص على نفسه لا يمكن أن يتعجل في صدور الأحكام والشحيح بدينه يلهم بـ

---

(١) راجع جامع بيان العلم لابن عبد البر (١/ ٦١٧) والاعتصام للشاطبي (٢/ ٩٣).

(٢) وقديمًا قالوا: «ومن كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه» وقالوا لا تأخذ العلم من صحفي، ولا القرآن من مُصحفي.

«الله أعلم» فيما لا يعلم، وقد قال بعض السلف «إذا ترك العالم لا أعلم أُصيب مقاتله»(١)، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦].

ونحو ذلك من المظاهر التي نراها في فئة من الشباب، وإن كانت والحمد لله قليلة، لكن القليل في مثل هذه الأمور لا ينبغي الاستهانة به، بل ينبغي علاجه لأنه إذا كثر قد يصعب، بل قد يستحيل علاجه.

**المسألة السادسة: كلمة إنصاف:**

وسأتكلم فيها عن نوعين من الدعاة:

النوع الأول: كثير من الشباب من طلاب العلم الشرعي عندنا في هذه البلاد (أعني المملكة العربية السعودية)، أرى عليهم علامات الرشد، والالتفاف حول العلماء، والاسترشاد بأهل العلم والتلقي عنهم وهذه ظاهرة سارة، وهي الأصل، وينبغي أن نشجع الشباب عليها، وسائر طلاب العلم.

كما أني أرى من المظاهر السارة للشباب هنا: سلامة العقيدة، واستقامة السلوك، والحرص على تلقي العلم الشرعي بمناهجه وأساليبه الصحيحة من مصادره الأصلية: كتب السلف المستمدة من الكتاب والسنة، وتلقيه على أهله – وهم العلماء – أئمة الدين، والمشايخ الذين هم القدوة، وهذه ظاهرة تبشر بالخير،

(١) وهو من قول ابن عباس أورده أبي عبد البر في جامع بيان العلم ص٣٥٧.

وهي نتيجة طبيعية لأخذ العلم الشرعي عن أهله.

لكن مع ذلك هناك بعض الظواهر التي أشرت إليها والتي هي – أحيانًا – قد تكون من النتائج التي تصحب مثل هذا الإقبال الكبير على الخير، والحمد لله فإن غرس الله ظهر، وريح الإيمان هبت، وإقبال الشباب على العلم الشرعي على أصوله يبعث على الفأل.

وهي علامة خير، ولله في ذلك حكمة يعلمها، ولا يمكن أن يكون هذا الإقبال على الخير مجرد ظاهرة ردة فعل بل الأمر أكبر من ذلك، الأمر هو غرس الله، ومن سننه التي لا تتبدل ولا تتخلف، فقد بلغ السيل الزبى، وقد طغى الزبد، ولابد أن يذهب الزبد جفاء، ولا يمكن ذهابه إلا بجهود بشر، والبشر الذين يصطفيهم الله لابد أن يكونوا على علم وفقه في الدين، ولعل الله هيأ هذا الجيل، ليقوم بدور عظيم طالما تخلف عنه المسلمون في هذا العصر من نصرة الإسلام ونصرة الحق، وهذا قدر الله وأمره، وهو سنة الله – ولا رادَّ لسنة الله – لكن مع ذلك قد يأتي مع الخير بعض الشر وبعض الشذوذ مثل: التشدد في الدين، أو الأهواء ونزعات الافتراق، مصداقًا لخبر النبي ﷺ. وذلك من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول قام رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فقال: «**لا، والله، ما أخشى عليكم، أيها الناس، إلا ما يخرج الله**

**لكم من زهرة الدنيا، فقال: رجل؛ يا رسول الله، أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ ساعة، ثم قال: كيف قلت؟ قال: قلت: يا رسول الله، أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله ﷺ إن الخير لا يأتي بالشر، أو خير هو؟ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطًا أو يلم، إلا آكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس، ثلطت، أو بالت، ثم اجترت، فعادت، فأكلت، فمن يأخذ مالًا بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالًا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع»**[١].

لكن لابد من علاج هذه الظواهر، والتي تنشأ بشكل طبيعي بين ثنايا الاتجاه العارم إلى الخير.

وقبل أن أخرج إلى مسألة أخرى، أحب أن أنوه عن أمر آخر، وهو أنه بحمد الله يوجد في هذه البلد من المشايخ الذين هم على السنة والاستقامة، من فيهم الخير والكفاية، كما يوجد من طلاب العلم الذين يجمعون بين العلم والقدوة العدد الوافر الذي به ستسترشد وتستنير الدعوات - إن شاء الله - .

**النوع الثاني:**

وهو الدعوات في العالم الإسلامي الآخر وخارجه، لابد من

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٥) وأحمد (١١٠٤٩) وابن ماجة (٣٩٩٥) والحميدي (٧٤٠).

كلمة إنصاف في حقها، لأني حين تكلمت عن بعض الظواهر المخالفة للسنة فيها ولديها كان كلامي فيه شيء من العموم، وكان من الأولى أن أنصفها، بأن أذكر الجوانب الإيجابية والخيرة في الدعوات في سائر العالم الإسلامي، لكن عذري أن الموضوع متعلق بمسألة معينة: وهي الفصل بين العلماء والدعاة، فكان لابد من إشعاركم بهذه السمات أو الظواهر الخاطئة ابتداءً.

أما الدعوات المعاصرة في شتى أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي التي تحمل لواء الدعوة، فإنه قد يوجد فيها من هو على السنة أفرادًا وجماعات: كأنصار السنة، وأهل الحديث، وأكثر الجماعات السلفية وغيرها، إذ فيها خير كثير برغم ما يعتريها من نواقص ومن خلل، وإذا قارناها بأحوال المسلمين، فإنها أصلح من أحوال عامة المسلمين، ورجالها، ودعاتها، وشبابها لا شك أنهم أحسنوا حين قاموا بواجب قصر فيه غيرهم، ويكفيهم أنهم احتسبوا الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – ورفعوا راياتها، وتحملوا المشاق والعداء من أجل الإسلام، وانتصروا للإسلام في قضاياه الخارجية والداخلية، كل منهم بقدر جهده وبأسلوبه.

وهذا فضل لهم لابد أن يذكر ويشكر، وحقهم علينا النصح والإرشاد والتسديد والعون على البر والتقوى والدعاء لهم بالغيب.

ثم إن الدعوات المعاصرة لم تقع كلها فيما ذكرت، وإنما البعض منها، وإلا ففيها من هو في الجملة على السنة والاستقامة في السلوك والعمل والمنهج، وفيها من يتلقى من العلماء، وفيها الأسوة، وفيها القدوة، لكنها ليست هي الأكثر، بل الأكثر من أصحاب الشعارات، والدعوات الكبرى ممن تكثر فيهم الأخطاء، ومما يستوجب التحذير منها أولًا، وثانيًا يستوجب النصح لهم والإرشاد والبيان، وأحسبهم إن شاء الله ممن يريد الحق ويسعى إليه، لأنهم ما رفعوا لواء الدعوة إلا حِسْبة لله، وإلا بحثًا عن الحق، ومن هنا أملنا فيهم، أن يكونوا من رواد الحق وأن يقبلوا النصيحة.

**المسألة الأخيرة:**

هي الإشارة إلى الحل، وإن كان الحل في نظري لا يمكن أن يبت به مثلي، فأنا والله أحوج إلى النقد والنصح، لكن لابد من الإسهام - ولو بمجرد رأي قابل للنقاش - ثم إن الحل ينبغي أن تتبناه جماعة المسلمين المتمثلة في علمائها وطلاب العلم فيها، أو طائفة منهم تنوب عن سائرهم وتتصدى للحل.

فأرى أن ترفع مثل هذه المشكلات المتعلقة بالدعاة والدعوات بعرض واف ومفصل لأهل العلم، ونعرضها على العلماء بأفرادهم ومؤسساتهم وبهيئاتهم في كل بلد بحسبه، ولا

مانع أن جميع أحوال العالم الإسلامي تعرض على علماء بلد معين أو أكثر، إذا رئي أنهم هم الأمثل، وأن منهجهم هو الأسلم، لكن مع ذلك لابد – وقد طرح الموضوع – أن نسهم جميعًا في بيان بعض وجوه الخلل، ونقترح الحلول، وإن كانت قابلة للنقاش، وعليه فإني أرى أن من الحل لمثل هذه الظاهرة، وهي: الفصل والجفوة المفتعلة بين العلماء والدعاة، أو بين العلم والدعوة ما يلي:

يتلخص الحل إجمالًا: بالالتفاف حول العلماء، والصدور عن قولهم وتوجيههم، والتفقه في دين الله تعالى، ومناصحة ولاة الأمور، وطرح الشعارات وعقد الولاء على السنة والجماعة، أما تفصيلًا فأشير إلى الاقتراحات التالية:

أولًا: ضرورة اهتمام العلماء وطلبة العلم بهذا الأمر، دراسة ومعالجة، وأن تتفرغ طائفة من المشايخ من أهل العلم الشرعي وأهل الفقه في الدين لهذا، وتعكف على الحلول للنصح بها لهؤلاء الذين وقعوا فيها، ومن ذلك: تأليف الكتب والرسائل التي تعالج هذه القضايا، والإسهام بالمقالات والدراسات وغيرها في وسائل الإعلام المشروعة، وأن نعقد لذلك المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش.

ثانيًا: أرى أنه لابد أن تنتقل طائفة من العلماء وطلاب العلم

المؤهلين في البلاد الإسلامية، ليرشدوا الناس، ويرشدوا الدعاة وإن كان هذا هو خلاف الأصل، فالأصل أن العلماء يُسعى إليهم، ويُسافر إليهم من أجل أن يؤخذ العلم عنهم، ولا يسعوا هم إلى الناس، لكن أرى أنه لا مانع في هذه الظروف العصيبة، وفي هذا العصر والوضع الذي نعيشه؛ أن تسافر طائفة من العلماء وتنتقل إلى شتى أقاليم المسلمين، بل و إلى البلدان غير الإسلامية التي يوجد بها مسلمون، ويوجد بها دعوة إلى الله.

لابد أن تتحمل طائفة من العلماء أعباء السفر والذهاب إلى أولئك، بل وربما الإقامة بينهم، لتعليمهم أصول دينهم، ولإرشادهم في أمور دينهم ودنياهم، خاصة في أمور الدعوة، لأن ظروف كثير من المسلمين الآن لا تسمح بالتنقل والسفر من بلد إلى بلد إلا بصعوبة بالغة، وبأخطار ومشقات لا يتحملها أغلب الناس، حيث صار التنقل من بلد الإسلام إلى بلد الإسلام يحتاج أحيانًا إلى إجراءات أصعب من التنقل في بلاد الكفار، وإليها.

فمن هنا أقول تقديرًا لهذه الظروف: لابد أن تسافر مجموعة من العلماء، وطلاب العلم الذين عندهم فقه في الدين لإرشاد الدعاة والدعوات وعامة المسلمين.

**ثالثًا**: يجب على جميع منتسبي الدعوات وخاصة الذين يتصدون للدعوة أن يتفقهوا في الدين، ويطلبوا العلم على أهله

وبالطرق الشرعية الصحيحة، وأن يكون هذا من مناهج الدعوات نفسها، بأن تكثر من الدروس الشرعية، ومن حلق الذكر ومن حلق العلم، ولا تمنع منسوبيها من تلقي العلم عن أهل الفقه في الدين، بل تسعى إلى دفعهم إلى ذلك تحقيقًا للخير الذي وعد الله به كما قال الرسول ﷺ : «**من يرد الله به خيرًا، يفقهه في الدين**»[(١)].

رابعًا: إلغاء الولاء للجماعات والشعارات، وترك الانتماءات والعودة إلى الأصل الشرعي، ونهج السلف بعقد الولاء على الإسلام والسنة والجماعة فحسب.

**خامسًا**: أرى ضرورة المناصحة المباشرة من كل من يرى خطأ في هذه الدعوات و في القائمين عليها، ولكل من نراهم أو نستطيع أن نتصل بهم ولو بالمراسلة.

تجب مناصحة هؤلاء الدعاة من كل مسلم يرى هذه الأخطاء ولا ينبغي السكوت عليها، لأن هؤلاء الدعاة بل وعامة المسلمين لهم حق على كل من يرى انحرافًا أو خطأ فيهم وخاصة الأخطاء الخطيرة التي ربما تؤدي إلى التنازع والافتراق، ولا نأمن أن تكون فتنة على الجميع، والمناصحة تكون بالأسلوب الشرعي

---

(١) جزء من حديث معاوية ﵁ رواه البخاري (١/ ٢٤-٢٥) ومسلم (٧١٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٢٧٨) ورواه الترمذي (٢٦٤٧) من حديث ابن عباس ﵄ وقال حديث حسن صحيح.

الذي يحقق المصلحة، وأقصد بهذا أن بعض أساليب المناصحة القائمة الآن لا تخلو من التجريح والتشهير فأخشى ألا تجدي ولا تفيد، بل ربما تؤدي إلى تمادي بعض الناس في الأخطاء، لأن بعض وسائل النصح من المؤلفات والكتب والمقالات والأشرطة والتصريحات ونحوها، في نقد بعض الدعوات، والدعاة، فيها شيء من التشهير والتهجم، والقسوة، والتجريح، والسب، واللمز، والحكم باللوازم والظنون، وهذا لا أظنه أسلوب إصلاح، فأسلوب الإصلاح هو: أن نسلك وصية النبي ﷺ وهديه وهو الرفق، ونُعرض عند المناصحة عما يثير في المخالف العناد، أو التمادي في الخطأ، ونسلك مسلك الإشفاق والنصيحة وحب الخير للآخرين، وهذا هو المنهج الذي يحسن أن ننهجه في تقويم الدعوات - كلها، خاصة في هذا الوقت.

فالمناصحة يجب أن تتركز على النقد الهادف المنصف المشفق الناصح، وأن تكون بالرفق، وإقامة الدليل، وبيان الحجة دون الإشارة إلى الخطأ الجارح، أو اللمز به، أو السب، أو التجريح، أو التخطئة أو اتهام النيات والقلوب أو الاستفزاز، ولا مانع عند البيان والتقويم العام من ذكر أخطاء الدعوات، لكن بشرط ألا نشخص ولا نشهر ولا نسمي لغير ضرورة، وإنما على القاعدة الشرعية التي كان الرسول ﷺ ينصح بها وهي: «**ما بال**

أقوام»[١].

فأسلوب المناصحة الشرعي يجب أن يكون بعيدًا عن التهجم، والقَدْح والتجريح، أو الإلزام بما لا يلزم، أو الإلزام بالخطأ وإن كان واضحًا صريحًا، إذا صرح المخالف بعدم التزامه.

سادسًا: من الوسائل التي لعلها تنفع:

على المشايخ وأهل العلم أن يعززوا من دور المؤسسات الخيرية، والمنظمات الإسلامية الموثوقة، والمراكز الإسلامية النزيهة، فإن فيها خيرًا كثيرًا ولو أنها دُعمت لتحقق من خلالها نفع كثير، لأن لها صلة بكثير من المسلمين، وعندها من القدرات والتجارب والوسائل ما لا يوجد عند أفراد العلماء وطلاب العلم.

---

(١) ورد ذلك في عدة مناسبات ذكرت في أحاديث كثيرة، منها: حديث أنس أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، فقام فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: **«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»** وفي رواية **«ما بال أقوام يسألون عما أصنع»**.

رواه مسلم (٣٣٨٤) وأحمد (١٣٥٦٨) (١٣٧٦٣) (١٤٠٩١) والنسائي (٦/ ٦٠) وعبد بن حميد (١٣١٨).

وأخيرًا: فإنه لابد من تصحيح المفاهيم وتقويم الأخطاء بكل وسيلة مشروعة: بالكتاب، وبالكلمة، وبالمناصحة الشخصية، وبوسائل الإعلام، وبالأشرطة، والمحاضرات والندوات والمؤتمرات واللقاءات وغيرها.

وتصحيح الأخطاء يجب أن يقوم على الأسس الشرعية، التي تهدف إلى الإصلاح، وأن نتفادى فيها كل ما يحول بيننا وبين إصلاح أحوال الآخرين من إخواننا المسلمين.

والمناصحة كذلك لابد أن تبنى على: العدل في القول لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٥٢] ولقوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨] ولقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، وتبنى كذلك على الإنصاف في الحكم، وحسن الظن وهو أن الأصل في المسلمين الخير، وحسن القصد، إلا من ثبت إصراره وعناده، وهذا أساس التعامل بين المسلمين.

هذا وأسأل الله لي ولكم ولجميع المسلمين التوفيق لما فيه الخير، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، كما أسأله – تعالى – أن يهيئ لجميع المسلمين من أمرهم رشدًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

# الفهرس